

## الفصل الثالث

### الروابط الفعلية النصية

المبحث الأول : الاستبدال الفعلي

المبحث الثاني : الحذف الفعلي

المبحث الثالث : الحيك المعجمي الفعلي

obeikandi.com

## الفعل

توطئة:

الفعل يمثل القسم الثاني من أقسام الكلمة في تقسيم الدرس اللغوي قديماً، إنما جعل ثانياً؛ لأنه بمنزلة الاسم في أنه مسندٌ، وإن فارقه في كونه مسنداً إليه<sup>(١)</sup>، وله معنيان، في اللغة، وفي الاصطلاح.

أما معناه في اللغة، فيراد منه: التأثير من جهة مؤثِّر وهو عام لما كان بإجادة، أو غير إجادة، لما كان بعلم، أو غير علم، وقصدٍ أو غير قصد<sup>(٢)</sup>، أو هو كناية عن عمل متعدٍ، أو غير متعدٍ، فَعَلَ يفعل فَعَلًا وفَعَلًا، فالاسم مكسور، والمصدر مفتوح<sup>(٣)</sup>، والنحويون يطلقون على ما ذكر الحدث<sup>(٤)</sup>.

وأما في الاصطلاح فيراد منه: أمثلةٌ أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائنٌ لم ينقطع<sup>(٥)</sup>، أي أن هذه الأبنية المختلفة أخذت من المصادر التي تحدثها الأسماء، وإنما أراد بالأسماء أصحاب الأسماء وهم الفاعلون<sup>(٦)</sup>، أو هو ما دلَّ على معنى وزمان، وذلك الزمان، إما ماضٍ، وإما حاضرٌ، وإما مستقبل<sup>(٧)</sup>، أو هو لفظ يدل على معنى في

(١) ينظر النهاية: ١٠٩/١.

(٢) ينظر المفردات: ٣٩٨.

(٣) ينظر لسان العرب: ٧٢٢/٤ (الفعل).

(٤) ينظر كتاب سيبويه: ١٢/١، وشرح السيرافي: ١٦/١، والنهاية: ١٠٩/١.

(٥) ينظر كتاب سيبويه: ١٢/١.

(٦) ينظر شرح السيرافي: ١٦/١.

(٧) ينظر الأصول: ٣٨/١.

نفسه ويتعرض ببنيته للزمان، ولا يدل جزء من أجزائه على جزء من أجزاء معناه<sup>(١)</sup>.

وللفعل دلالتان: دلالة على المصدر، وهي مستفادة من لفظه، ودلالة على الزمان، وهي مستفادة من صيغته، فإذا صرفته ماضيًا، ومضارعًا، وأمرًا، لم تختلف دلالاته على مصدر؛ لوجود حروف الأصول في التصارييف، واختلفت دلالاته على الزمان؛ لزوال الصيغة، وليست دلالاته على المصدر والزمان دلالة اشتراكية؛ لأنها لو كانت اشتراكية، لجاز أن يراد به أحد المعنيين دون الآخر، وهذا لا يمكن في الفعل؛ لأنك لا تريد الزمان وحده، ولا المصدر وحده، وما هنا زيادة أخرى، وهي: أنك تريدها مقترنة<sup>(٢)</sup>.

إن دلالة الفعل على الزمان مختلف فيها فمنهم من يرى أنها بالذات واستدل بتغيير البنية بتغيير الزمان، ومنهم من يرى أنها تدل على أن الحدث ماضي أو غير ماضي، فينجر الزمان الماضي مع الحدث الماضي، والزمان غير الماضي مع الحدث غير الماضي<sup>(٣)</sup>.

يشكل الفعل بدلالاته على الحدث والزمان مع الاسم كلامًا فعليًا وحظًا من ذلك أن يكون مسندًا دائمًا، فوجود الفعل بحدته وزمانه لا ينفك عن وجود الفاعل له، وأما ما وجد من أفعال لا تأخذ فاعلاً بل تدخل على مبتدأ أو خبر ويطلق عليها الأفعال الناقصة، إنها سميت ناقصة؛ لأنها لا تتم بالمرفوع

(١) ينظر شرح جمل الزجاجي: ٩٧/١.

(٢) ينظر النهاية: ١١٠/١.

(٣) ينظر التذييل: ٤٩/١.

كلامًا، بل بالرفوع مع المنصوب بخلاف الأفعال التامة، فإنها تتم كلامًا بالرفوع دون المنصوب، وأما قول بعضهم من أنها سميت ناقصة؛ لأنها تدل على الزمان دون المصدر، فليس بشيء؛ لأنَّ (كان) في نحو: كان زيدًا قائمًا، يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدل على الكون المخصوص، وهو كون القيام، أي حصوله، فجيء أولًا بلفظ دال على حصول ما، ثمَّ عُيِّنَ بالخبر، فكان يدل على حصول حدث مطلق تقيده في خبره، وخبره يدل على حدثٍ معينٍ واقع في زمان مطلق تقيده في (كان)<sup>(١)</sup>، وبعضهم يسميها أفعال عبارة؛ لأنها لما دخلت على المبتدأ والخبر، وأفادت الزمان في الخبر صار الخبر كالعوض من الحدث، فلذلك لا تتم الفائدة بموضوعها حتى تأتي بالمنصوب<sup>(٢)</sup>.

يعد التركيب الفعلي ذا أثر واضح في بناء النص وربط أجزائه بعضها مع بعض من حيث الاستبدال، والحذف والحبك المعجمي بتكراره وتضامه.

(١) ينظر شرح الرضي: ١٨٢/٤.

(٢) ينظر شرح المفصل: ٣٥٤/٣.

## المبحث الأول

### الاستبدال الفعلي

الاستبدال الفعلي: هو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبية<sup>(١)</sup>، ومن تلك المقولات (فعل، وعمل) مكان فعل خاص، ومثاله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة/١]، إذ أبدل قوله (مَنْ يَفْعَلْهُ) مكان قوله (لا تتخذوا)<sup>(٢)</sup>.

ويعبر عنه بالفعل البديل / الكنائي (pro - verb) فعل، ويقابل في الانكليزية الفعل (do)، حيث يأتي إضمارًا للفعل، أو لحدث معين، أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل / العبارة الفعلية الأكثر تحديدًا، مثل:

إني أفهمك تمام الفهم يا سيدي، وهذا أكثر مما أفعله بنفسِي<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر نحو النص (زفيد): ١٢٣.

(٢) ينظر نفسه.

(٣) ينظر علم لغة النص (عزة): ١١٤.

يقول جمعان: الاستبدال الفعلي ويمثله استعمال الفعل (يفعل) في اللغة الانكليزية (do) وقد مثل مصطفى صلاح قطب بالفعل نفسه في اللغة العربية كما يأتي: «هل تعتقد أن أحمد لا يصارحك بالحقيقة؟ أعتقد أن كل شخص يفعل، فكلمة (يفعل) استبدلت بكلام كان يجب أن يحل محلها وهو (لا يصارح بالحقيقة)، والحقيقة أن الفعل (يفعل) غير كثير الاستعمال في اللغة العربية المعاصرة، وأكثر منه استعمالاً هو الفعل (يقوم)»<sup>(١)</sup>.

أرى أن الاستبدال الفعلي من المجحف في لغتنا أن نقصره على ما نُقل لنا من الدرس الغربي وأن نقصره على الفعل (يفعل، ويعمل)، بل لغتنا أوسع استبدالاً للأفعال ويتم بطرائق مختلفة كالشرط، والطلب، والأفعال الدالة على المدح والذم، ثم أريد أن أقول هل الاستبدال يتم بالفعل وحده أم بالفعل ومتعلقاته، الظاهر أنه يتم بالفعل ومتعلقاته، فإذا كان كذلك فهو الاستبدال القولي الفعلي، هذا المنظور الفكري لا يظهر عند الطبرسي بما قدّمه الدرس النصي من مصطلح ومفهوم، لكنه يظهر عن طريق تفسيره للآيات وبيان معانيها.

قلنا إنَّ الاستبدال الفعلي يتم بطرائق مختلفة منها:

أحدها: الشرط: أريد به الكلام الذي يحمل أداة شرط وفعل شرط وجوابه، إذ يحدث الاستبدال بجواب الشرط، ومن ذلك ما يأتي:

(١) ينظر إشكالات النص: ٣٥٤.

١. قال تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير/١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣]، بين الطبرسي المراد من النص القرآني، إذ ابتدأ ببيان التكوير أي: إنَّ الشمس يذهب نورها وضوؤها، فالتكوير يعطيه وجهان هما: أن يكون من تكوير العمامة وهو لفها، يُلْفُ ضوؤها فيذهب انتشاره وانبساطه في الآفاق، وهي عبارة عن إزالتها والذهاب بها، أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها؛ لأنَّ الثوب إذا أُريد رفعه لُفَّ وطُوي، ووضح المراد من الإنكدار وهو الانقراض، والجبال تسير عن وجه الأرض والعشار التي أتى على حملها عشرة أشهر فصاعدًا ترك معطلة لانشغال أهلها بنفوسهم والوحوش تحشر حتى يقتصر لبعضها من بعض، أو موتها، والبحار تسجر مملوءة بالحطب فيفجّر بعضها إلى بعض حتى يصير بحرًا واحدًا، أو أوقدت فصارت نارا تضطرم، والنفوس تزوج بأن تقرن كلُّ نفس بشكلها، أو تقرن الأرواح بالأجساد، أو تُقرن نفوس الصالحين بالخور العين ونفوس الكافرين بالشياطين، والموؤدة تسأل عن ذنب قتلها وسؤالها: لقاتلها تكييت وتوييخ، أو السؤال عن القرابة وقطعها، والصُّحف الأعمال التي تطوى عند موته، ثم تُنشر إذا حوسب، والسماء تكشط أي تكشف وتزال، كما يُكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن

الشيء، والجحيم تسعّر بإيقادها إيقادًا شديدًا، والجنة تُزلف أي تقرب من أهلها بما فيها من نعيم<sup>(١)</sup>، فكل ما ذكر جوابه قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير/١٤]، يقول الطبرسي: أي إذا كانت هذه الأشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرًا من عملها كما قالوا أهدته وجدته محمودًا، وقيل علمت ما أحضرته من خير وشر<sup>(٢)</sup>.

إن الشرط قد استبدل بجوابه، وهو قوله (علمت) بدلًا عن كل ما ذكر من شرط.

٢. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [ال عمران]، بين الطبرسي أن الله يعلم ما في الصدور من ولاية الكفار، أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه؛ لأنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، فلا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه سرهم وجهرهم<sup>(٣)</sup>، إن جواب الشرط قد وقع استبدالًا لفعل الشرط ومعطوفه (تبدوه).

٣. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣/٧٣٦.

(٢) ينظر مجمع البيان: ١٠/٤٤٤.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٢٧٧.

الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿[الاسراء/١٨، ١٩]، وَضَح الطبرسيّ الآيتين بقوله: من كانت العاجلة، وهي النعم الدنيوية هَمَّتْهُ، ولم يُرد غيرها تفضلنا عليه منها (لمن نريد) فقيّد الأمر بقيدين: أحدهما تقييد المعجل بالمشيئة، والثاني تقييد المعجل له بإرادته، ومن كان يريد الآخرة وسعى لها سعيًا فاشترط لكون السعي (مشكورًا) ثلاث شرائط هي: إرادة الآخرة، والسعي فيها كُفِّفَ من الفعل والترك والإيمان الصحيح، وشكّر الله سعيه هو ثوابه على الطاعة<sup>(١)</sup>، وقع الاستبدال في مكانين الأول استبدال (عجلنا) ب(يريد) أي استبدال جواب الشرط بفعله، الموطن الثاني هو استبدال الجملة الاسمية مكان (أراد الآخرة)، أي جواب الشرط بفعله، والأصل في جواب الشرط أن يكون فعلًا والمراد من استبدال إرادة الآخرة بالشكر، كأن التقدير من أراد الآخرة وسعى لها سعيًا يُشكر سعيه.

يقول ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ): «وإذا لم تصلح الجملة الواقعة جوابًا، لأن تقع بعد أداة الشرط وجب اقترانها بالفاء»<sup>(٢)</sup>.

إذن يقترن جواب الشرط بالفاء حين يخرج عن أصله.

ثانيهما: الطلب، ويتم ذلك بإسقاط الفاء من الفعل المضارع إذا تقدم أحد المواضع الثمانية التي ينتصب بعدها الفعل، فإذا سقطت الفاء تحقق الجزم عن طريق الطلب<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر نفسه: ٣٦٥/٢.

(٢) قطر الندى: ٩٢.

والمواضع الثمانية هي:

١. الأمر.
٢. التمني.
٣. العرض.
٤. التحضيض.
٥. الدعاء.
٦. الاستفهام.

أما النفي فيرتفع بعده الفعل مطلقاً، والنهي عند فساد المعنى (٢).

يحدث الاستبدال عن طريق الجواب، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِۦٓ وَتُجٰهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعٰمُوْنَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِيْ جَنَّٰتٍ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴾ [الصف/١١، ١٢]، يقول الطبرسي:
- (تؤمنون) استئناف، كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقيل لهم: تؤمنون، وهو خبرٌ في معنى الأمر، ولهذا أُجيب بقوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ وإنا جيء به على لفظ

(١) ينظر المحصول: ٦٤٢/٢، وشرح الرضي: ١١٩/٤.

(٢) ينظر المحصول: ٦٤٢/٢، وشرح الرضي: ١١٦/٤.

الخبر للإيدان بوجوب الامتثال، فكأنه امتثل، فهو يُخْبِرُ عن إيمانٍ وجهادٍ موجودين<sup>(١)</sup>.

يقول ابن هشام الأنصاري: «جُزم (يغفر)؛ لأنه جواب لقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾؛ لكونه في معنى امنوا وجاهدوا، وليس جواباً للاستفهام، لأن غفران الذنوب لا يتسبب عن نفس الدلالة، بل عن الإيثار والجهاد<sup>(٢)</sup>.

الاستبدال تم عن طريق الفعل (يغفر) الذي هو جزاء الطلب بالفعل تؤمنون وتجاهدون.

٢. قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَتَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/١٤]، ذكر الطبرسي أن الله أكد القتال بالأمر فقال: (قاتلوهم)، ثم وعدهم أنه (يعذبهم) بأيديهم قتلاً ويخزيهم أسراً وينصرهم عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين<sup>(٣)</sup>، هنا حدث استبدال بالجواب من الطلب بفعل الأمر (قاتلوهم) فاستبدل بالفعل يعذبهم وبها عطف عليه من الخزي والنصر والشقاء.

٣. قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا<sup>ط</sup> إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه/٦٩]، ذكر الطبرسي أنه قرئ:

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع ٥٥٥/٣.

(٢) قطر الندى: ٨١.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ٥١/٢.

(تَلَقَّفَ) بالرفع<sup>(١)</sup> على الاستئناف، أو على الحال، أي: ألقاها متلقفة، وقرئ:  
 (تَلَقَّفَ) بالتخفيف<sup>(٢)</sup>، (ما صنعوا) أي ما زوروا وافتعلوا<sup>(٣)</sup>، هنا استبدال  
 الفعل (تلقف) بالفعل (التق)، وكما وقع الاستبدال بين (ما صنعوا)، قوله (إنما  
 صنعوا) إذ استبدال إنما صنعوا، بالصنع الأول الذي وصفه الله بأنه صنع  
 ساحر ليس حقيقي.

ثالثها: أفعال المدح والذم: أريد بها أفعال تدل على المدح والذم وهما  
 (نعم، وبئس) وما في معنيهما، ك(ساء) بمعنى بئس<sup>(٤)</sup>.

يحدث الاستبدال عن طريق هذه الأفعال بأنها تمدح أو تذم ما يذكر قبلها  
 من ذكر فتوجزه بتركيبها، والطبرسي لا يشير إلى ظاهرة الاستبدال، ولكن  
 يظهر ذلك عن طريق تفسيره وبيانه الآيات، ومن أمثلة الاستبدال بأفعال  
 المدح والذم ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٠﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ  
 وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١) قرأ بها ابن عامر وابن ذكوان، وأبو حيوة الشامي ويحيى بن حارث، بالتضعيف والرفع، ينظر كتاب  
 السبعة: ٤٢٠، الحجة لابن خالويه: ٢٤٤، والعنوان: ١٣٠، والنشر: ٣٢١/٢، ومعجم القراءات:  
 ٤٥٨/٥.

(٢) قرأ بها أبو جعفر وحفص عن عاصم والسلمي بالتخفيف والجزم، وعليه رسم المصحف، ينظر  
 كتاب السبعة: ٤٢١، والحجة لابن خالويه: ٢٤٤، والعنوان: ١٣٠، ومعجم القراءات: ٤٥٨/٥.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٤٩١/٢.

(٤) ينظر توضيح المقاصد: ٧٠/٢.

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ وَمَنْ يَصِرْهُمَا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٤﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٥﴾ [ال عمران / ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦]، وضح الطبرسي الآيات بقوله: المسارعة إلى المغفرة والجنة، الإقبال على ما يُستحق به الثواب من فعل الطاعات وأداء الفرائض، وأن من يفعل ذلك له جنة عرضها كعرض السموات والأرض، إذ المراد وصفها بالسعة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلق الله، وخص العرض؛ لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، وأن الجنة مخلوقة؛ لأنها لا تكون معدة إلا وهي مخلوقة، (أعدت للمتقين) الذين ينفقون في حال الرخاء واليسر وفي حال الضيق والعسر ما قدروا عليه من كثير أو قليل لا يمنعهم حال نعمة ولا حاله من المعروف، وكظمهم الغيظ: أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يُظهره، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ الذين عطف على المتقين وقوله (أولئك) إشارة إلى الفريقين، ويجوز أن يكون (والذين) مبتدأ وخبره أولئك، (فعلوا فاحشة) من فعله متزايد في القبح، (أو ظلموا انفسهم) بمقارنة الذنوب، (ذكروا الله)، بنهيه ووعيده أو عقابه، انزجروا عن المعصية، واستغفروا لذنوبهم، بأن قالوا: اللهم اغفر لنا ذنوبنا (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وهنا بيان أن المؤمنين ثلاث طبقات: متقون، وتائبون ومصرون، وأن للمتقين

منهم الجنة والمغفرة (ونعم أجر العاملين)، أي نعم أجر العاملين ذلك، أي: المغفرة والجنان<sup>(١)</sup>.

إن الذي ذكره الطبرسي من بيان لهذه الآيات وما بينها من ترابط ثم ختم بيانه بحديثه عن قوله تعالى: (ونعم أجر العاملين)، التي هي استبدال لكل فعل فيه صلاح فعله المتقون والتائبون، فنعم مدح لما سبق ونتيجة لما قاموا به من خير وصلاح، فنعم تجمع كل ما ذكر من صفات سابقة.

٢. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف/٥٠]، بين الطبرسي أن كون إبليس من الجن هو سبب فسقه، ومعناه الخروج عن أمر ربه من السجود، أو صار فاسقًا كافرًا بسبب (أمر ربه) الذي هو قوله: ﴿اسْجُدُوا﴾، ثم بين (أفتتخذونه) بأن الهمزة للإنكار والتعجب، أي: أبعد ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي، بش البدل من الله إبليس لمن استبدله<sup>(٢)</sup>.

هنا استبدال بفعل الهمزة مما سبقه من فعل وهو قوله (تتخذونه) لذا كان هذا الاتخاذ مذمومًا وهو منطلق من الظلم.

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٢/٤٢١.

٣. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف/١٧٦، ١٧٧]، وضح الطبرسي الآيات عن طريق التناص بأن المقصود بهذه الآيات هو بلعم بن باعوراء الذي كان عالماً من علماء بني إسرائيل أوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها ونبذها وراء ظهره، قال الإمام الباقر عليه السلام: «الأصل فيه بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة»<sup>(١)</sup>، فبين أن الله لوشاء لرفعه إلى منازل الأبرار من العلماء، ولكنه مال إلى الدنيا ورغب فيها وإنما علّق رفعه بمشيئة الله تعالى، ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع؛ لأن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له، فكأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها، ثم بين أن صفة كصفة الكلب في أحواله، وهي حال دوام اللهث به واتصاله، سواء حُمِلَ عليه أي: سُدَّ عليه وهَيَّجَ فطرد أو تُرِكَ غير محمولٍ عليه؛ وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هَيَّجَ وحرك وإلا لم يلهث، والكلب تصل لهثه في الحالتين جميعاً، فكان حق الكلام: ولو

شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض فحططناه، ثم ذكر قوله تعالى (ساء مثلاً القوم)، أي: مثلُ القوم<sup>(١)</sup>.

هنا في الآيتين حدث استبدال لما تقدم في آية ١٧٦، بالآية ١٧٧، بقوله (ساء مثلاً القوم) فالفعل ساء الذي يحمل معنى الذم استبدل به كل ما ذكر من فعلٍ في الآية التي سبقته والجامع على ذلك التمثيل بالكلب والذم لهذا التمثيل وأصحابه.

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٧٢٣.

## المبحث الثاني

### الحذف الفعلي

تكلّمنا عن الحذف مصطلحًا ومفهومًا وعن أنواعه وذكرنا الحذف القولي ومثلنا له أيضًا، وفي هذا البحث نتناول الحذف الفعلي.

الحذف الفعلي: هو الحذف الذي يحدث داخل المركب الفعلي<sup>(١)</sup>.

والحذف الفعلي مما اعتنى به علماء العربية ويّنه بصوره المتنوعة من حيث الجائز والواجب والممتنع، فيحذف فعل الفاعل: جوازًا، ووجوبًا، فجوازًا إذا استلزمه فعل قبله، أو أُجيب به نفي، أو استفهام، ظاهر أو مقدر نحو قولك في النفي: بلى زيدٌ، لمن قال: ما قام أحدٌ، التقدير: بلى قام زيدٌ، والمجاب به الاستفهام نحو قولك: مَنْ قرأ، فتقول: زيدٌ، والتقدير: قرأ زيدٌ، والحذف الواجب يكون إذا فُسِّرَ بما بعد الفاعل: من فعل مسند إلى ضميره أو ملابسه، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة/٦]، وهلا زيدٌ قام أبوه، التقدير: وإن استجارك أحدٌ من المشركين استجارك، وهلا لابس زيدٌ أبوه، إلا أنه لا يتكلم به؛ لأنّ الفعل الظاهر كالبديل من اللفظ بالفعل المضمر، فلم يجمع بينهما<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٢، ومدخل إلى علم النص (الصيحي): ٩٣، والسبك: ١٢٢.

(٢) ينظر شرح ابن عقيل: ٤٧٤/١، وشرح ابن الناظم: ١٦٠، وتوضيح المقاصد: ٢٤٢/١.

هذا بالنسبة إلى حذف الفعل دون فاعله، وأما حذفها معاً، فقد تكلموا عنهما أيضاً، فذكروا أنّ حذفها على ضربين: جائز، وواجب، فيحذفاً جوازاً، إذا دل على الفعل قرينة حالية، كقولك لمن سدد سهماً، القرطاس، بإضمار تُصيب، ولمن يتأهب للحج: مكة والله، بإضمار: تريد، أو مقالية، كقولك زيّداً، لمن قال من ضربت؟ وكقولك بلى شر الناس، لمن قال: ما ضربتُ أحداً. ويجب حذفهما، إذا فسره ما بعد المنصوب، نحو: أزيّداً رأيتُهُ، أو كان إنشاءً نداءً، نحو: يا زيّداً وغيرها<sup>(١)</sup>.

إن موضوع الحذف أخذ جانباً كبيراً في مؤلفات علمائنا لما له من أهمية في ربط أجزاء الكلام فيما بينها، حتى سمي الحذف شجاعة العربية؛ لأنه يشجع على الكلام<sup>(٢)</sup>.

الحذف في الكلام الفعلي على قسمين:

القسم الأول: حذف الفعل وحده.

القسم الثاني: حذف الفعل مع فاعله، وهذا الحذف يدخل ضمن الحذف القولي؛ لأنه حذف مركب تام.

ويشير هاليداي ورقية إلى نوعين من الحذف الفعلي، الذي يحدث داخل المركب الفعلي:

(١) ينظر شرح ابن ناظم: ١٨٢، وتوضيح المقاصد: ٢٧١/١، ومغني اللبيب: ٤٠٧/٢.

(٢) ينظر الاتقان: ١٤٧/٢.

الأول: الحذف المعجمي: حيث يفقد الفعل المعجمي من المجموعة الفعلية.

الثاني: حذف العامل: ويتضمن حذف العامل فقط، ويظل الفعل المعجمي كما هو، ويحدث هذا بين الجمل المتاخمة مع بعضها، مثل السؤال والإجابة<sup>(١)</sup>.

اعتنى الطبرسي في تفسيره ببيان المحذوف، وتوضيحه سواء أكان فعلاً، أم مركباً فعلياً، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير / ١]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق / ٢، ١]، وضح الطبرسي أن المحذوف بعد (إذا هو فعلٌ، فالشمس مرفوعٌ بالفاعلية، رافعها فعلٌ مضمَرٌ يفسره (كورت)، لأنَّ (إذا) يطلبُ الفعل لتضمينه معنى الشرط<sup>(٢)</sup>، في تفسيره الانشقاق قال: (انشقت) تصدعت وانفجرت، وجواب إذا ما دل عليه قوله: ﴿فَمَلَنِيهِ﴾ [الانشقاق / ٦]، أي إذا انشقت السماء لاقى الإنسان كدحه<sup>(٣)</sup>، العلامة هنا وضح المحذوف بعد (إذا) حين رتب الكلام دون حذف، فقال إذا انشقت السماء، أضف أنه بين محذوف آخر وهو جواب الشرط وهو الفعل (كدحه) الذي قدره من طريق تفسيره السورة.

(١) ينظر علم لغة النص (عزة): ١١٨.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣/٧٣٤.

(٣) ينظر نفسه: ٣/٧٥٢.

٢. قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [الاسراء/ ١٠٠]، يقول الطبرسي: (قل لو أنتم تملكون) تقديره: لو تملكون أنتم تملكون؛ لأن (لو) لا تدخل إلا على الفعل، فأضمر (تملكون) على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل، وهو (أنتم)، فأنتم فاعل لفعل محذوف، وتملكون تفسيره، أي: لو ملكتم<sup>(١)</sup>.

٣. قال تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنَّ أَمْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَلَا هُوَ أُمَّةٌ فَلَهَا بِصَفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا ۚ إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ فَإِنَّ كَاتِنًا أَنْتَبِينَ فَلَهُمَا الثُّلثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ مُبَيَّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء/ ١٧٦]، أوضح الطبرسي أن حذفًا فعليًا وقع في قوله تعالى (إن امرؤ هلك)، إذ قال: قالوا إنه آخر ما نزل من أحكام الدين، كان جابر بن عبد الله مريضًا فعاده رسول الله (ص)، فقال يا رسول الله: إني كلاله فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت (إن امرؤ هلك)<sup>(٢)</sup>، فامرؤ مرفوعٌ بفعلٍ يفسره الظاهر وهو (هلك)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر نفسه: ٣٩٦/٢.

(٢) ينظر أسباب النزول: ١٨٠.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٤٦٦/١.

هذه النماذج للحذف الفعلي وحده دون الفاعل، وأما حذف الفعل مع فاعله فهو كثيرٌ منها:

١. قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة/ ١]، ذكر الطبرسي أنّ الباء تعلقت بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ، ليختص اسم الله بالابتداء به، كما يقال للمعرس: (باليمن والبركة) بمعنى: أعرست، وإنما قُدِّر المحذوف متأخرًا؛ لأنهم يتدوون بالأهم عندهم<sup>(١)</sup>.

يقول الزركشي (ت ٧٩٤هـ): واعلم أن النحاة اتفقوا على أن (بسم الله) بعض جملة، واختلفوا.

فقال البصريون: الجملة اسمية أي ابتدائي بسم الله.

وقال الكوفيون: الجملة فعلية، وتابعهم الزمخشري في تقدير الجملة الفعلية، ولكن خالفهم في موضعين: أحدهما أنها يقدران الفعل مقدمًا وهو يقدره مؤخرًا، والثاني: أنهم يقدرون فعل البداية، وهو يقدره في كل موضع بحسبه، فإذا قال الذابح بسم الله كان تقديره بسم الله أذبح، وإذا قال القارئ بسم الله، فالتقدير: بسم الله أقرأ<sup>(٢)</sup>، وما قال أجود مما قالوه، لأنّ مراعاة المناسبة أولى من إهمالها؛ ولأن اسم الله أهم من الفعل فكان أولى بالتقديم<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر نفسه: ٥٣/١.

(٢) ينظر الكشف: ٤٦،٤٥/١.

(٣) ينظر البرهان: ٧٤٩.

٢. قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ<sup>ط</sup> أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/٨٠]، بين الطبرسي الآية القرآنية، بقوله: قالت اليهود (لن تمسنا النار)، أي: لن تصيبنا النار (إلا أيامًا معدودة)، أي قلائل أربعين يومًا عدد أيام عبادة العجل، (فلن يُخلف الله عهده) متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عنده عهدًا فلن يخلف الله عهده<sup>(١)</sup>، بين أن المحذوف هو أداة الشرط مع فعلها وفاعلها، وهذا الحذف أدى إلى الإيجاز ودقة الربط بين أجزاء النص.

٣. قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ<sup>ط</sup> وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة/٢٥٩]، بين الطبرسي أن النص ابتداءً بكلمة متعلقة بمحذوف، إذ قال: (أو كالذي) معناه: أو رأيت مثل الذي مرّ، فحذف للدلالة

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/١٢٠.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ﴾ [البقرة/ ٢٥٨] عليه؛ لأنّ كليهما كلمة تعجيب، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قيل: رأيت كالذي حاج إبراهيم<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر نفسه: ٢٣٨/١.

## المبحث الثالث

### الحبك المعجمي الفعلي

الحبك المعجمي، أو الربط المعجمي: هو الربط الذي يتحقق من طريق اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر<sup>(١)</sup>.

يمثل هذا النوع من الربط مظهرًا من مظاهر التحليل النصي المعاصر؛ إذ يسهم بشكل واضح في ربط العناصر اللغوية المشكلة للنص، ويختلف عن السبك النحوي الشكلي في كونه لا يبحث عن العنصر المفترض الذي يمثل إحالة أو ما إلى ذلك، ولا عن علاقة نحوية تشكل نسيج النص، بل يتحقق الحبك المعجمي عن طريق ظاهرتين لغويتين هما: التكرار والتضام<sup>(٢)</sup>.

يعد الحبك المعجمي الفعلي احد الوسائل التي يتم بها الربط النصي بين أجزاء النص حيث يجيل فعل على فعل سابق عليه، وهذا الحبك ينقسم على قسمين هما:

(١) ينظر علم لغة النص (عزة): ١٠٥.

(٢) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٤، ولسانيات النص (قياس): ١٢٤.

### القسم الأول: التكرار الفعلي

التكرار يطلق عليه (إعادة اللفظ، أو الإحالة التكرارية)، وهو شكل من أشكال الربط النصي، ويتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، إن هذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل واضح<sup>(١)</sup>، وهذه الظاهرة كانت محل عناية علمائنا، لاسيما المفسرون، وذلك لبيان النص القرآني.

والعلامة الطبرسي يبين هذه المواضع في أغلب وجودها في النصوص القرآنية، والتكرار الفعلي يكون بالفعل وفاعله مطلقاً ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَتُحِبُّونَ أَنْ تُمِجَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [ال عمران/١٨٨]، بين العلامة الآية القرآنية بيان الإحالة المقامية إذ قال: (لا تحسبن) خطاب لرسول الله (ص)، (الذين يفرحون) مفعول أول، و(بمفازة) مفعول ثانٍ، (ولا تحسبهم) تأكيد تقديره: لا تحسبهم فلا تحسبهم فائزين<sup>(٢)</sup>.

ورد الفعل مكرراً، القصد منه التأكيد وهذا التأكيد أدى إلى ربط أجزاء النص، الفعل لم يكرر بمفرده بل كان مع فاعله ومتعلقاته واقعاً في التكرار.

(١) ينظر نحو النص (عفيفي): ١٠٦.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣٥٩/١.

٢. قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ [البقرة/٣٨، ٣٦، ٣٧]، بدأ الطبرسي في بيان النص عن طريق إيضاح المعاني، (فأزلهما) أي: حملهما على الزلة (الشیطان) يعني: إبليس، نَسَبَ الزلة إلى الشيطان لما وقعت بدعائه ووسوسته (عنها) عن الجنة فأخرجهما من المنزلة والنعمة والدعة، وأضاف الإخراج إلى الشيطان؛ لأنه كان السبب فيه، وإنما أخرج الله آدم من الجنة؛ لأن المصلحة اقتضت بعد تناوله الشجرة إهباطه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف وسلبه ثياب الجنة، كما تقتضي الحكمة الإفقار بعد الإغناء، والإماتة بعد الإحياء، (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحواء، والمراد: هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنس جعلنا كاتهما الإنس كلهم، ويدل عليه قوله في موضع آخر: ﴿أَهْبِطًا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه/١٢٣]، (بعضكم لبعض عدو) والمعنى فيه: ما عليه الناس من التعادي والمخالفة وتضليل بعضهم بعضًا، ثم تلقى آدم كلمات استقبلها بالأخذ والقبول، ثم كرر سبحانه ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ [البقرة/٣٨] للتأكيد ولما تبعه من قوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي

هُدًى ﴿ [البقرة/٣٨]، أي: فإن يأتكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم<sup>(١)</sup>.

بيّن الطبرسيّ سبب تكرار قوله تعالى: (قلنا اهبطوا)؛ ذلك للتأكيد، لكن هذا الأمر أدى إلى ترابط النص بين الآية ٣٦، والآية ٣٨.

يقول الكرمانى (ت ٥٣١هـ): «قوله: ﴿ أَهْبِطُوا مِنْهَا ﴾ [البقرة/ ٣٦، ٣٨] كرر الأمر بالهبوط؛ لأنّ الأول من الجنة والثاني من السماء<sup>(٢)</sup>.

٣. قال تعالى: ﴿ وَجَلَّوْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾ ءَأَلْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس/ ٩٠، ٩١]، ذكر الطبرسيّ أنّ لفظ (أمنت) تكررت ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله في وقت الإلجاء، وكانت المرة الواحدة كافية وقت الاختيار وبقاء التكليف، ﴿ ءَأَلْسَنَ ﴾ [يونس/ ٩١]، أي: أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق؟<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٩٧، ٩٦، ٩٥/١.

(٢) أسرار التكرار: ٢٦.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١٤٥/٢.

يَبين أن لفظ (آمنت) تكرر للتأكيد من حيث هو حرصٌ على القبول<sup>(١)</sup>.

٤. قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿التوبة/ ٥٣، ٥٤، ٥٥﴾، وقال في موطن آخر من السورة نفسها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿التوبة/ ٨٥، ٨٤﴾، وضح الطبرسي النص الأول بحديثه عن الإنفاق (طوعًا أو كرهًا) أي حالً بمعنى طائعين أو مكرهين، وهو أمرٌ في معنى الخبر والمعنى: ﴿ لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ ﴿التوبة/ ٥٣﴾، ما انفقتم طوعًا، أو كرهًا، ونحوه قوله: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ﴿التوبة/ ٨٠﴾، أي: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم، وإنما يجوز هذا إذا دل الكلام عليه، كما جاز عكسه في قولك: رحم الله زيدًا، أو الله غفر له، (إنكم

(١) المراد من تكرر (آمنت) مرتين و(أنا من المسلمين) ثلاث عبارات، ينظر الكشاف: ٣٤٨/٢،

كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) تعليلٌ لردِّ نفاقهم، (أنهم كفروا) فاعل (منع)، أي: لم يمنع المنافقين قبول نفاقهم إلا كُفِّرهم (بالله ورسوله)، والإعجاب بالشيء أن تُسَرَّ به سرورٍ راضٍ به متعجبٍ من حُسْنِهِ، والمعنى: فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا، فإنَّ الله أعطاهم ذلك للعذاب، بأن عَرَّضه للغنائم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير، (وهم كارهون) على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكُلْفِ في جمع الأموال وتربية الأولاد<sup>(١)</sup>، ثم جاءت النصوص حتى نص أربع وثمانين وخمس وثمانين، فوضَّح أن أحدهم إذا مات لا يُصلى عليه ولا يُقام عند قبره، (مات) صفةٌ لـ(أحيد)، وإِنَّمَا قِيلَ بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والموجود؛ لأنَّه كائنٌ موجودٌ لا محالة (إنهم كفروا) تعليلٌ، للنهي، وأُعيد قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ [التوبة/٨٥]؛ لأنَّ تجدد النزول له شأنٌ في تقدير ما نزل له وتأكيده لاسيما إذا تراخى ما بين النزولين، ويجوز أن يكون النزولان في فريقين من المنافقين<sup>(٢)</sup>.

وضَّح الطبرسي تكرار المركب الفعلي الذي جاء في النصين، وذكر أن التراخي أدى إلى إعادة الذكر مرة أخرى، وهذا الأمر ما يؤكدُه نحو النص على قدرة التكرار في ربط أجزاء النص بعضها مع بعض.

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٧٠/٢.

(٢) ينظر نفسه: ٨٥/٢.

### القسم الثاني: التضام الفعلي

عرفنا أن التضام هو: توارد زوج من الكلمات بالفعل، أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك<sup>(١)</sup>.

فمثلاً: ما لهذا الولد يتلوّى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوّى.

فالولد والبنات ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإن ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية<sup>(٢)</sup>.

ويطلق عليه المطابقة، أو المصاحبة اللغوية<sup>(٣)</sup>، يساعد التضام على ترابط العناصر اللغوية بعضها مع بعض، من طريق علاقة التقابل، أو التعارض، ويتم الربط من طريق توقع القارئ للكلمة المقابلة، فالكاتب يمنح القارئ فرصة الإبحار في عالم النص من طريق السلسلة المتتابعة للكلمة، التي تسهم بشكل واضح في خلق سبب النص<sup>(٤)</sup>.

يقول د. خطابي: إنّ العلاقة التي تحكم هذه الأزواج في خطاب عبارة عن علاقة تعارض: كالولد والبنات، وقف وجلس، أو علاقة كل بجزء، أو جزء بجزء، وهذه العلاقة التي يعتمدها التضام في إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائماً أمراً هيناً، لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق

(١) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٥.

(٢) ينظر نفسه.

(٣) ينظر لسانيات النص (قياس): ١٣٤، ونحو النص (زنيدي): ١٤٠.

(٤) ينظر لغة النص (عزة): ١٠٩، ولسانيات النص (قياس): ١٣٤.

سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمداً على حدسه اللغوي، وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

يظهر التضام عن طريق الأسماء، أو الأفعال، ووضحنا التضام الاسمي، وهنا نريد أن نوضح التضام الفعلي، وكيف قدّمه الطبرسي من طريق تفسيره وبيانه للنصوص القرآنية، ومن نماذج التضام الفعلي ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ال عمران/٢٦، ٢٧]، يبين العلامة المعاني المرادة في الآيتين، إذ قال: (مالك الملك) أي: تملك جنس الملك فتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكونه (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء من الملك النصيب الذي قسمته له (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذي أعطيته منه، فالملك الأول عامٌ والآخران خاصان بعض من الكل (وتعز من تشاء) من أولياءك في الدنيا والدين، (وتذل من تشاء) من أعدائك (بيدك الخير) تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك (تولج الليل في النهار) أي: تنقص من الليل وتجعل ذلك النقصان زيادةً في النهار، وتنقص من النهار وتجعل ذلك النقصان زيادةً في الليل، (وتخرج الحي من الميت) أي: من النطفة (وتخرج

الميت) أي: النطفة (من الحي)، وقيل تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، (وترزق من تشاء بغير حساب) بغير تقدير<sup>(١)</sup>.

وضَّح الطبرسيّ عن طريق شرحه علاقات التضام بين الأفعال وهي (تؤتي الملك، تنزع الملك)، و(تعز، تذل) و(تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل)، و(تخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي)، هذه الأفعال بنظامها يستدعي بعضها بعضاً، فيؤتي يستدعي ينزع والفعل يُعز يستدعي يذل، والأفعال الأخرى وهي تولج وتُخرج قد اكتسبت استدعاؤها (ضدها) من التركيب الذي وردتا فيه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، هذا التضام يدعو إلى ربط أجزاء النص بعضها بعضاً.

٢. قال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ<sup>٤</sup> وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب/٧٣]، وضَّح الطبرسيّ طرفي الآية ابتداءً من الفعل (يعذب) وختامًا بالفعل (يتوب)، فبدأ ببيان اللام في الفعل (ليعذب)، إذ قال: واللام في (ليعذب) لام التعليل على طريق المجاز، لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة التي ذُكرت في الآية قبلها من قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ<sup>٥</sup> إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[الأحزاب/٧٢]، فالتقدير: ليعذب حامل الأمانة، و(يتوب الله) على غيره ممن لم يحملها؛ لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر<sup>(١)</sup>.

ورد تضام بين الفعلين يعذب ويتوب، فيعذب أصحاب الأمانة من المشركين والمنافقين، ويتوب على المؤمنين والمؤمنات الذين رعوا الأمانة، فذكر العذاب يستدعي ذكر التوبة.

٣. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود/٥]، ذكر الطبرسي في بيان هذه الآية أن المقصود من قوله (يثنون صدورهم) أي: يزورون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدوره، ومن انحرف عنه ثنى عنه صدره، (ليستخفوا منه)، أي: يريدون ليستخفوا من الله، فلا يُطلعُ رسوله والمؤمنين على أوزارهم، (ألا حين يستغشون ثيابهم)، أي: يتغطون بثيابهم كراهية لا ستماع كلام الله، ثم قال: (يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني: أنه لا تفارق في علمه بين إسرارهم وإعلانهم<sup>(٢)</sup>.

يبين تفسير النص وجود تضام بين الفعلين يسر والفعل يعلن، فذكر الأول يستدعي ذكر الثاني، فالفعل بعلم يشمل السر والعلن، فهي علاقة الكل بالجزء، هذا الأمر يدعو إلى التضام، ثم جعل العلم بالسر والعلن مقابلاً

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٨٥/٣.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١٥٥/٢.

لقوله (يثنون صدورهم، ويستخفوا) فسبب ذلك ترابطاً لأجزاء النص بعضها مع بعض.

٤. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ① يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ  
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ  
الْغَفُورُ﴾ [سبأ/٢١، ٢٢]، بين الطبرسي ما في الآيتين بدءاً بقوله تعالى: (ما في  
السموات وما في الأرض) بأنه كله نعمة من الله سبحانه، فكأنه سبحانه  
وصف نفسه بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، فمعناه: أنه المحمود على نعم  
الدنيا، (وله الحمد في الآخرة) إيداناً بأنه المحمود على نعم الآخرة، وهي  
الثواب الدائم والنعيم المقيم، وهو حاكم لأمر الدارين الخبير بكل كائن،  
وبكل ما سيكون، فهو يعلم ما يلج في الأرض من مطر، أو كنز، أو ميت،  
ويعلم ما يخرج منها من نبات، أو جواهر، أو حيوان، وما ينزل من السماء من  
ملك، أو مطر، أو رزق، وما يعرج فيها أي: ما يصعد من الملائكة وأعمال  
العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله رحيم غفور لعباده المقصرين في أداء  
الواجب من شكره<sup>(١)</sup>.

عن طريق تفسيره اتضح أن النص تضمن تضاماً أدى هذا التضام إلى  
عملية ربط بين أجزاء النص، فبدأ بذكر الكل وهو الفعل ثم جزأ هذا العالم  
بها على الأرض وبها في السماء، فعلى الأرض يعلم ما يلج، وما يخرج، وفي

السماء يعلم ما ينزل وما يعرج، فيلج ضدهُ يخرج، وينزل ضدهُ يعرج،  
والأرض مقابل السماء، فما ذكر مع الأرض استدعى أن يذكر مع السماء، ثم  
أحكم ذلك بعلاقة الكل بالجزء.